

باب ما جاء في إعلان النكاح

باب ما جاء في إعلان النكاح. حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ أَخْبَرَنَا أَبُو بَلْعٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبِ الْجَمْعِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { فَضْلٌ مَا بَيْنَ الْحَرَامِ وَالْحَلَالِ الدَّفُّ وَالصَّوْتُ } . قَالَ: وَفِي الْبَابِ عَنْ عَائِشَةَ وَجَابِرٍ وَالرَّبِيعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ قَالَ أَبُو عَيْسَى حَدِيثُ مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ وَأَبُو بَلْعٍ اسْمُهُ يَحْيَى بْنُ أَبِي سَلِيمٍ وَيُقَالُ ابْنُ سَلِيمٍ أَيْضًا وَمُحَمَّدُ بْنُ حَاطِبٍ قَدْ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ. حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ أَخْبَرَنَا عَيْسَى بْنُ مَيْمُونٍ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { أَعْلِنُوا هَذَا النِّكَاحَ، وَاجْعَلُوهُ فِي الْمَسَاجِدِ، وَاضْرِبُوا عَلَيْهِ بِالذَّفُوفِ } . قَالَ أَبُو عَيْسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ حَسَنٌ فِي هَذَا الْبَابِ، وَعَيْسَى بْنُ مَيْمُونٍ الْأَنْصَارِيُّ يُصَعَّفُ فِي الْحَدِيثِ، وَعَيْسَى بْنُ مَيْمُونٍ الَّذِي يَرَوِي عَنْ ابْنِ أَبِي تَجِيحٍ التَّقْسِيرُ هُوَ ثِقَةٌ. حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ الْبَصْرِيُّ حَدَّثَنَا يَسْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ ذَكْوَانَ عَنْ الرَّبِيعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ قَالَتْ: { جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ عَلَيَّ عِدَاةَ بَنِي بِي فَجَلَسَ عَلَيَّ فِرَاشِي كَمَا جَلَسَ مِنِّي وَجُورِيَاتٌ لَتَا يَضْرِبْنَ يَدُوفَهُنَّ وَيَنْدُبْنَ مَنْ قُبِلَ مِنْ آبَائِي يَوْمَ بَدْرٍ إِلَى أَنْ قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي عَدِي، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْكُتِي عَنْ هَذِهِ وَقُولِي الَّذِي كُنْتَ تَقُولِينَ قَبْلَهَا } قَالَ أَبُو عَيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. فِي هَذَا فِيهِ إِبَاحَةُ الدَّفِّ الصَّرْبِ بِالْدَفِّ وَكَذَلِكَ اسْتِعْمَالُ الصَّوْتِ الَّذِي هُوَ غِنَاءٌ مِنَ الْمَبَاحِ، وَجَعَلَهُ فَرَقًا مَا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَأَمَّا بِإِعْلَانِ النِّكَاحِ { أَعْلِنُوا النِّكَاحَ وَاضْرِبُوا عَلَيْهِ بِالْدَفِّ } فَرَقَ مَا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ الدَّفِّ وَالصَّوْتِ. الدَّفُّ هُوَ الْأَلَّةُ الَّتِي تَضْرِبُ وَيَكُونُ لَهَا صَوْتُ وَهِيَ مِثْلُ الطَّلَسْتِ أَحَدُ وَجْهَيْهَا مَفْتُوحٌ وَالْآخَرُ مَغْلُقٌ فَيَضْرِبُ الْوَجْهَ الْمَغْلُقَ، وَإِعْلَاقُهُ الْأَصْلَ مِثْلَ اللَّوْحِ الْمَقْوَسِ، وَيَغْلِقُ أَحَدَ طَرَفَيْهِ بِجِلْدِ يَابَسٍ غَيْرِ مَدْبُوعٍ؛ بَلْ مَجْفَفٍ حَتَّى سَقَطَ شَعْرُهُ فَإِذَا ضَرَبَ صَارَ لَهُ صَوْتُ، فَإِنْ كَانَ مَخْتُومًا مِنَ الْجَانِبِينَ سَمِيَ طَبْلًا، وَالطَبْلُ لَا يَجُوزُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ فِيهِ صَوْتٌ أَقْوَى مِنْ صَوْتِ الدَّفِّ. فَالْإِبَاحَةُ وَرَدَتْ فِي اسْتِعْمَالِ الدَّفِّ فِي النِّكَاحِ وَضَرْبِهِ ضَرْبًا يَحْصُلُ بِهِ الْإِعْلَانُ، وَيَحْصُلُ بِهِ أَيْضًا إِظْهَارُ الْفَرَحِ بِهَذَا النِّكَاحِ. لَا شَكَّ أَنَّهُ يَوْمَ فَرَحٍ، أَنَّ هَذَا النِّكَاحَ فِيهِ فَرَحٌ وَابْتِهَاجٌ بِحُصُولِ هَذَا الزَّفَافِ بَيْنَ هَذَيْنِ الزَّوْجَيْنِ، وَتَبْرِيكٌ لِكُلِّ مِنْهُمَا وَدَعَاءٌ لِهَمَّا، فَنَاسِبٌ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنَ الْفَرَحِ؛ فَضَرْبُ الدَّفِّ يَفِيدُ إِظْهَارَ الْفَرَحِ. وَكَذَلِكَ اسْتِعْمَالُ الصَّوْتِ الَّذِي هُوَ غِنَاءٌ وَلَكِنْ غِنَاءٌ مَبَاحٌ، أَي: شَعْرٌ مَبَاحٌ مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ التَّغْنِيِ وَالطَّرْبِ؛ لَكِنْ لَيْسَ تَشْبِيهًا، وَلَا غِنَاءٌ بِذِكْرِ الْفَوَاحِشِ أَوْ غِنَاءٌ بِمَا يَدْفَعُ عَلَى فِعْلِ الْمُنْكَرَاتِ أَوْ نَحْوِهَا. فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ مِمَّا أَثَرَ وَمِمَّا عَمِلَ بِهِ، وَقَدْ وَرَدَ أَيْضًا أَمْثَلَةٌ لَذَلِكَ فَمِنْ الْأَمْثَلَةِ: هَوْلَاءُ الْجَوَارِي اللَّاتِي يَغْنِينَ عِدَاةَ بَنِي بَهْذَةَ الْمَرْأَةِ، يَغْنِينَ بِالشَّعْرِ الَّذِي قِيلَ فِي يَوْمِ بُعَاثِ أَي: مَا قَالَهُ الْأَنْصَارُ قَبْلَ أَنْ يَسْلَمُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ مِنْ رِثَاءِ أَمْوَاتٍ لَهُمْ مَاتُوا فِي تِلْكَ الْفَتَنِ، وَذَكَرَ شَيْءٌ مِنْ مَا خَذَهُمْ، وَوَأَفْعَالُهُمْ؛ فَلَا يَسْتَعْمَلُونَ وَلَا يَجُوزُ. وَلِهَذَا لَمَّا قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ: " وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي عَدِي "؛ أَنْكَرَ ذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا فِي الْغَدِّ، لَا يَعْلَمُ مَا فِي عَدِي إِلَّا اللَّهُ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: { وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ عَدَاً } لَا الْأَنْبِيَاءُ وَلَا غَيْرُهُمْ، لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ. فَإِذَا كَانَ الْغِنَاءُ بِتَحِيَّةٍ وَتَرْحِيبٍ وَمَدِيحٍ غَيْرِ مَغَالٍ فِيهِ فَإِنَّهُ مِنْ جَمَلَةٍ مَا أَبَاحَهُ اللَّهُ، وَمِمَّا يَنْشِطُ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْفَرَحِ، وَمِمَّا تَقْوَى بِهِ النَّفْسُ وَمِمَّا يَحْصُلُ بِهِ شَيْءٌ مِنَ قُوَّةِ النَّفْسِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَفْلِ وَالتَّبْرِيكِ لِلْمَتَزَوِّجِينَ وَالدَّعَاءِ لِهَمَّا وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. أَمَّا الْغِنَاءُ الْمَحْرَمُ؛ فَلَا يَجُوزُ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مَحْرَمٌ أَصْلًا؛ وَلِأَنَّهُ يَثِيرُ الْغَرَائِزَ وَيَدْفَعُ إِلَى الْحَرَامِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. ثُمَّ الضَّرْبُ بِالْدَفِّ قَالَ بَعْضُهُمْ: " إِنَّهُ يَخْتَصُّ بِالنِّسَاءِ "، كَمَا هُوَ الْعَادَةُ الْآنَ مِنْ أَنَّ الَّذِي يَضْرِبُهُ هُوَ النِّسَاءُ فِيمَا بَيْنَهُنَّ، يَضْرِبْنَ وَيَغْنِينَ بِشَيْءٍ مِنَ الْغِنَاءِ فِيمَا بَيْنَهُنَّ. وَقِيلَ: إِنَّهُ لِلرِّجَالِ مَا دَامَ إِنْ الْقَصْدُ مِنْهُ إِعْلَانُ النِّكَاحِ فَيَضْرِبُ وَلَكِنْ بَدُونَ مِبَالِغَةً لَا يِبَالِغُونَ فِيهِ بَلْ بِقَدْرِ مَا يَحْصُلُ بِهِ الْإِعْلَانُ وَإِظْهَارُ أَنَّ هَذَا حِفْلٌ زَوَاجٌ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ. وَيَقُولُ بَعْضُ الْمَشَائِخِ: إِنْ الْإِعْلَانُ قَدْ يَحْصُلُ فِي هَذِهِ الْأَزْمَنَةِ بَدُونَ ذَلِكَ؛ فَيَحْصُلُ مِثْلًا بِهَذِهِ الْإِنَارَةِ الَّتِي تَكُونُ فِي بَيْتِ الزَّوْجِ أَوْ وَلِيِ الزَّوْجَةِ، أَوْ تَكُونُ فِي الْبُيُوتِ الْمَخْصُصَةِ لِلْحَفَلَاتِ، وَإِنْ كَانَ هَذَا لَا يَكْفِي؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ بِهِ، أَيِ الزَّوْجَيْنِ لَا يَعْرِفُ مِنْ هُوَ الزَّوْجُ مَا لَمْ يَكُنْ عَلَى بَلَدٍ لَهُ خَاصَّةٌ بِهِ. وَكَانَ بَعْضُهُمْ فِي الْقُرَى يَسْتَعْمَلُ مَا يَفِيدُ الْمَعْرِفَةَ وَالْإِعْلَانُ، سَمِعْتُ بَعْضَ مَشَائِخِنَا فِي إِحْدَى الْقُرَى يَذْكَرُ: أَنَّهُمْ إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ الزَّفَافِ فِي تِلْكَ الْقَرْيَةِ -يُمْكِنُ قَبْلَ خَمْسِينَ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ- يَسْتَعْمَلُونَ الطَّبِيبَ فِي الْمَسَاجِدِ؛ حَيْثُ يَذْهَبُونَ إِلَى كُلِّ مَسْجِدٍ فِي...، وَبِمَشْهُونَ عَلَى كُلِّ الْمُصَلِّينَ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرَبِ أَوْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ يَطْبِيبُونَهُمْ؛ فَذَلِكَ لَمَّا يَلْفَتُ أَنْظَارُهُمْ أَنَّ هُنَاكَ زَوَاجًا، يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهَا قَرْيَةٌ أَهْلُهَا مُحْصَرُونَ، فَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْإِعْلَانِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْتَادًا. فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: { وَاجْعَلُوهُ فِي الْمَسَاجِدِ } كَانَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَسْتَحْبُونَ أَنْ يَكُونَ عَقْدُ النِّكَاحِ فِي الْمَسَاجِدِ لِهَذَا الْحَدِيثِ؛ يَعْنِي: إِذَا أَرَادُوا الْعَقْدَ الَّذِي هُوَ الْإِيجَابُ وَالْقَبُولُ وَشَاهِدَانِ كَانُوا فِي الْمَسْجِدِ؛ رَجَاءً أَنْ تَحْصَلَ لَهُمُ الْبِرْكَةُ إِذَا دَعُوا بِالْبِرْكَةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ فَإِنَّ مِنَ السَّنَةِ أَنْ يَدْعُوَ الَّذِي يَعْقِدُ بِقَوْلِهِ: { بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا وَبَارَكَ عَلَيْكُمَا وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ } رَجَاءً أَنْ تَسْتَجَابَ هَذِهِ الدَّعْوَةُ إِذَا كَانَتْ فِي مَكَانٍ فَاضِلٍ كَالْمَسْجِدِ. كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عِنْدَ الْعَقْدِ يَدْعُونَ لِلْمَتَزَوِّجِ بِقَوْلِهِمْ: بِالرِّفَاءِ وَالْبِنِينَ. هَذَا تَبْرِيكُهُمْ؛ فَهِيَ اللَّهُ وَنَهَى الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ وَأَمَرَ بِالْدَّعَاءِ بِقَوْلِهِ: { بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا وَبَارَكَ عَلَيْكُمَا وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ } وَبِذَلِكَ تَرَجَّى إِجَابَةُ هَذِهِ الدَّعْوَةِ. أَسْئَلُهُ س: طَيْبٌ يَا شَيْخَ، بِالنِّسْبَةِ لَضَرْبِ الدَّفُوفِ لِلرِّجَالِ يَلَاحِظُ أَنَّهُ فِي بَعْضِ الزَّوْجَاتِ يَقُومُ نَفْسُ الرِّجَالِ بِضَرْبِ الدَّفُوفِ، فَهَلْ يَجُوزُ لَهُمْ ذَلِكَ؟، وَهَلْ يَجُوزُ حُضُورُ الزَّوْجِ الَّذِي يَتِمُّ فِيهِ مِثْلُ هَذَا؟ الظَّاهِرُ أَنَّهُ يَجُوزُ إِذَا كَانَ الْقَصْدُ إِعْلَانِ النِّكَاحِ. إِنَّمَا مَجْرَدُ ضَرْبِ الدَّفِّ لِأَجْلِ الْإِعْلَانِ؛ لِأَنَّ الْحَدِيثَ عَلَى إِطْلَاقِهِ { أَعْلِنُوا النِّكَاحَ وَاضْرِبُوا عَلَيْهِ بِالْدَفِّ } وَلَمْ يَخْصُ النِّسَاءَ وَلَا الرِّجَالَ، أَطْلَقَ، فَظَاهِرُهُ أَنَّهُ لَا بَأْسَ؛ لَكِنْ حَيْثُ كَوْنُهُ مَعْتَادًا الْآنَ أَنَّ الضَّرْبَ يَكُونُ مَعَ النِّسَاءِ؛ فَلَا يَجُوزُ مَخَالَفَةُ هَذَا الْمَعْتَادِ بَلْ يَتْرَكَ لِلنِّسَاءِ، هُنَّ اللَّاتِي يَسْتَعْمَلْنَ ضَرْبَ ذَلِكَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ، وَكَذَلِكَ الصَّوْتِ الَّذِي قَالَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: { الدَّفُّ وَالصَّوْتُ } يَكُونُ أَيْضًا بَيْنَ النِّسَاءِ فِي مَحِيطَهُنَّ.